بين يدي الكتاب

علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي

وكتـــابـــه

تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها

١ - مقـدمـــة :

لما كان حفظ صحة الأبدان وإبـلالها من أسقامها من المقاصد الأساسيـة التي يتوجه إليها الإنســان، ويعطيها الأولـوية على غيرهـا، فإننا لا نستغرب ظهـور علم الطب في وقت مبكر جداً من تاريخ الإنسانية، بل إننا لا نتصور وجود الإنسان بغير طب، بقطع النظر عما إذا كان هذا الطب مبنياً على أسس علمية أم خرافية.

وقد كان في العرب أطباء درسوا الطب دراسة علمية، ولعل «لُقمان الحكيم» كان من أقدم أطبائهم، وظهر فيهم «الحارث بن كِلْدة» وولده «النضر بن الحارث» اللذان عاصرا الرسول ﷺ، و«ابن أبي رمثة التميمي» الذي اشتغل بعلم التشريح.

وكان «الحارث بن كلدة» قد درس الطب في بيمارستان «جنديَسابور» من بلاد فارس، ونبغ فيـه، حتى أصبح طبيب خسرويه كسرى فـارس، ولكنه مـا لبث أن عاد إلى بلـده الطائف، فأقام فيها يطبب الناس.

ولكن هؤلاء لم يتركوا لنا كتاباً في الطب.

ولا نعلم أنه ظهر بعد هؤلاء في العرب طبيب مشهور حتى عصر الترجمة.

وقـد كـــان الخلفـاء في هـذه الفترة يستعينـون بـأطبـاء أجـانب غـالبهـم من أطبـاء «جنديسابور»، فقد اتخذ «معاويـةُ بن أبي سفيان» «ابنَ أبي أثال» النصراني طبيباً له، كما استعان «بحكم الدمشقي» و«تيادوق» وغيرهم.

ولما بدأت حركة الترجمة على يد «خالد بن يزيد» كانت كتب الطب والكيمياء أول ما تناولته الترجمة إلى اللغة العربية[1]. وإن كان لم يصلنا شيء من هذه الترجمات المبكرة.

ولما آلت الخلافة إلى بني العباس وولي الخلافة «أبو جعفر المنصور» استقدم من «جنديَسابور» الطبيب البارع «جورجيس بن بختيشوع ١٥٥هـ» ليكون طبيباً خاصاً له، ولم يلبث أن أخذ «ابن بختيشوع» بترجمة الكتب الطبية إلى العربية، ثم تبعه تراجمة عديدون نقلوا كثيراً من كتب الطب من اللغات الأخرى إلى العربية، نذكر منهم «أبو يحيى بن البطريق ـ ١٩١هـ» الذي ترجم كثيراً من كتب «جالينوس» وكثيراً من كتب «أبقراط».

ولكن الترجمة الجادة، والتأليف الناضج لكتب الطب لم يبدأ إلا بعد أن أسس الخليفة العباسي «المأمون» أول مجمع علمي عربي عام ٢١٧هـ وسماه «بيت الحكمة».

وأخذ يستقطب له عمالقة العلماء والتراجمة، ويستقدم له المفيد من الكتب من كل اختصاص، وقد أولى كتب الطب عناية خاصة، والجدير بالذكر أن الخليفة «المأمون» كان يتخذ النفوذ السياسي للدولة سبيلاً للحصول على الكتب من المكتبات الرسمية في الدول الأخرى، وقد استخدم هذا النفوذ للحصول على مجموعة ضخمة من الكتب من أنقرة وعمورية، ومجموعة أخرى من قبرص، ومجموعة ثالثة من القسطنطينية.

لقد أسند «المأمون» رئاسة «دار الحكمة» إلى «يوحنا بن ماسويه ــ ٢٤٣هـ» تلميذ «جورجيس بن بختيشوع»، ثم أسندها من بعده إلى «حنين بن إسحق ــ ٢٦٤هـ» وهما طبيبان مشهوران، فأولياترجمة الكتب الطبية عناية خاصة.

وكان يقوم إلى جانب «دار الحكمة» مؤسسات علمية خاصة للترجمة، لعل من أشهرها مؤسسة «بني شاكر»[2]، التي كانت تنفق على الترجمة كل شهر خمسمائة دينار، وكانت ترسل الرجال ليجمعوا لها الكتب من كل حدب وصوب لتقوم هي بترجمتها.

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ١/ ٥١١ للدكتور حسن إبراهيم حسن.

(٢) مؤسس هذه المؤسسة هو «موسى بن شاكر» الذي كان منجماً للمأمون، وقد تولى هذه المؤسسة من بعده أبناؤه الثلاثة، وكانوا جميعاً من العلماء.

والأمر الملفت للنظر حقاً هو ظهور كتب تخصصية في طب العيون في هذا العصر المبكر. ولقد كان للدكتور «يوليوس هيرشبرغ» أستاذ طب العيون في جامعة برلين فضل تتبع هذه الكتب في زوايا المكتبات، وفي بطون الكتب والكشف عنها في العصر الحديث، ولقد استطاع الدكتور هيرشبورغ، أن يقدّم لنا أسماء اثنين وثلاثين كتاباً في طب العيون ألفها مشاهير الأطباء من العرب والفرس، ولا يعني ذلك أن هذه الكتب التي ذكرها هيرشبورغ هي كل ما ألف في العربية وترجم إليها من كتب طب العيون، إذ قدم لنا «ماكس مايرهوف» أسماء كتبٍ أخرى لم يذكرها هيرشبورغ في تاريخه[1].

ولقد بلغ التأليف في طب العيون أوجه على أيدي أربعة من المؤلفين هم:

حنين بن إسحاق ـ ٢٦٤هـ في كتابه «العشر مقالات في العين»[1] وهو أول كتاب ناضج نعلمه ألف في العربية في طب العيون، وقد تم ترتيبه على أساس ذكر أسباب الأمراض في مقالة، وأعراض الأمراض في مقالة أخرى، وعلاج الأمراض في مقالة غيرها، وهو ترتيب متعب، ولذلك لم يتبع هذا الترتيب المؤلفون الذين أتوا بعد حنين، وقد طبع الكتاب بتحقيق الدكتور «ماكس مايرهوف».

والمؤلف الثاني هو: علي بن عيسى ـ ٤٠٠هـ في كتابه: «تذكرة الكحالين»، وهو أول كتاب تراعى فيه الأصول الأكاديمية في التأليف في طب العيون، وقد طبع الكتاب في الهند بتحقيق الدكتور السيد غوث محي الدين القادري الشرفي.

والمؤلف الثالث هو: عمار بن علي الموصلي - حوالي ٤٠٠هـ في كتابه «المنتخب في علاج أمراض العين»وقد طبع هذا الكتاب في الرياض بتحقيق القلعه جي والوفائي.

وختم التأليف الجيد بالطبيب صلاح الدين بن يوسف الكحال الحموي ـ ٦٩٦ هـ في كتابه «نور العيون وجامع الفنون» وهو بحق أنضج وأحسن كتاب وضع في طب العيون في اللغة العربية، لأنه جمع كل ما كتب في طب العيون قبله، وقد طبع في الرياض من قبل مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتحقيق د. محمد رواس قلعه جي ود. محمد ظافر الوفائي.

---

(١) انظر مقدمة مايرهوف لكتاب العشر مقالات في العين لحنين بن إسحاق.

وكتابنا هذا الذي نقدمه إلى الباحثين اليوم «تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» لعلي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي من جملة ما كتب في طب العيون في هذا العصر المتقدم.

٢ - ترجمة المؤلف: علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي

سنتحدث هنا عن المؤلف ووالده وأسرته وبلده

أ- المؤلف:

مؤلف كتابنا هذا طبيب مغمور لم يتحدث عنه المؤرخون، ولم يعرفوه إلا من خلال كتابه هذا الذي بين أيدينا، ولم تتوفر لهم من المعلومات عنه غير ما استخلصوه من هذا الكتاب، إنه: علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي.

ويبدو أنه نشأ في كفر طاب ثم رحل إلى مصر، ومارس فيها مهنة طب العيون، وفيها جرب الكحل الذي ركبّه عيسى الكحال لأكثر أمراض العين وهو: أنزروت سبعة دراهم، شياف ماميثا ستة دراهم، كثيرا بيضاء خمسة دراهم، مرّ، زعفران، من كل واحد ثلاثة دراهم، أفيون، زنجار من كل واحد درهما ونصف، قلقطار محرق، صبر، من كل واحد وزن درهمين، شاذَنَج وصمغ عربي، من كل واحد عشرة دراهم، تجمع الأدوية مسحوقة منخولة، وتعجن بشراب، ويشيف، ويستعمل[1].

ويظهر أنه رحل إلى اليمن، والتقى بقاضيها «أسعد»، أو أنه التقى به في مكان آخر، ــ وأرجح أن مؤلفنا علي بن إبراهيم هو الذي رحل إلى اليمن، لأنه طالما رحل إلى مصر، فإن ذلك يعني أن الرحلة من طبعه ــ وأخذ منه كحلاً جلاّءً يقوي البصر، ويمنع من نزول الماء في العين، ويجلو البياض لمن أَدْمَن الاكتحال به، وقد كان قاضي اليمن أخذه من طبيب هندي وصل إلى عدن، وجربه مؤلفنا علي بن إبراهيم بن بختيشوع فحمد منفعته، وتركيبه: كحل أصبهاني،

---

(١) تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها ص ٥٠ مخطوط.

وإقليميا ذهبي، ومرقشيتا، وملح هندي، ودار فلفل، وسنبل الطيب، وتوتياء هندي، وزنجاري، من كل واحد مثقال، تسحق مفرده وتنخل وتربى بماء رازيانج أخضر، وماء حصرم، وماء مرزنجوش، من كل واحد جزء، يسقى به في كل يوم حتى يغمره في صلاّية، ويسحق به إلى أن ينشف، سبعة أيام متوالية، وفي الثامن يسحق مفرداً ويضاف إليه ربع مثقال من المسك الخالص، وثمن مثقال زعفران، على كل مثقال من الحوائج، ويخلط به، ويجود سحقه إلى أن يمتزج، ويكتحل به بعد أن يرطب الميل بالنَّفَس حتى يحمل ماينبغي. فإنه عجيبٌ بالغ، حسن التأثير والفعل[1].

ويرى الدكتور «ماكس مايرهوف» أن مؤلفنا «علي بن إبراهيم» لم يكن أخصائياً في طب العيون، بل متطبباً عاماً يتعاطى صناعته في كفرطاب[2]، وما ندري من أين أتى «مايرهوف» بهذه المعلومات، وأغلب الظن أن «مايرهوف» استنبط معلوماته هذه استنباطاً، لأنه رأى مؤلفنا يتحدث في أول كتابه عن تركيب جسم الإنسان وعظامه وعضلاته وأعصابه وغير ذلك، ورآه في آخر كتابه يذكر أدوية لأمراضٍ لا علاقة لها بالعين، كذكره دواء للأسنان، وآخر للثة، وآخر لمنع تحلب المواد من الدماغ إلى الصدر، وآخر للبواسير. والحقيقة أن ما يرهوف قد غلط مرتين:

الأولى: عندما قال: إن «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» لم يكن أخصائياً في طب العيون، وما استند إليه في دعواه هذه لا يصلُحُ مستنداً، لأنه غاب عن ذهن مايرهوف أن العلماء يشترطون لمن يريد أن يكون متخصصاً في طب العيون أن يتقن الطب العام أولاً، ثم يتخصص في طب العيون، لأن بعض أمراض العين سببه من الجسم، وبعض أمراض العين يسبب مرضاً في الجسم، ولذلك عالج أطباء العيون مرض «الصداع النصفي» و«الشقيقة» في كتب طب العيون، ومؤلفنا قد مهر في الطب العام ـــ بدليل ما قدمه لنا من معلومات في الطب العام

---

(١) تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلاها ص ٨٥ مخطوط.

(٢) مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ص ١١.

والتشريح في كتابه هذا، ومهر في طب العيون ، ولا أدل عندي على تخصصه في طب العيون ومهارته فيه، وممارسته له، من أن جميع ما أورده من الأدوية لجميع أمراض العين في كتابه «تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» قد جرّبه على مرضاه، وثبتت له فاعليته وجدواه، ومن العمليات الجراحية التي عملها في العين بنفسه، فضلاً عن التي وصف عملها وصفاً دقيقاً فهو إذن متخصص وممارس لطب العيون، فعجباً لـ «مايرهوف» كيف يتورط في دعوى نفي تخصصه في طب العيون.

والثانية: عندما قال: «ولابد أنه قضى شطراً من حياته في مصر، إذ يحدثنا عن مرض نجح في معالجته بالقاهرة عام ٤٦٠ من الهجرة[١]». والحقيقة أن هذه التجربة قد ذكرها المؤلف في آخر كتابه، ونحن نسوقها لك بألفاظها، قال علي بن إبراهيم بن بختيشوع: «وقال الكندي: إن أبا نصر كان لا يبصر الكواكب ولا القمر، فاستعط بمثل عدسة كنُدس مع دهن بنفسج، فرأى الكواكب بعض الرؤية، فاستعط به ثانية وثالثة فبرىء برءاً تاماً، وكان قد تقدم تنقية الجسد، فنقى الكندس الرأس».

ووجدت هذه الرواية في «الحاوي» إلا أنها طباشير، وعجبتُ أنا كيف مرّ هذا على من نسخ «الحاوي» لأني رأيته في خمس نسخ، وجرّبته أنا، فكان الكندس الذي ينقي الدماغ، وليس للطباشير إلا التبريد والتجفيف، وماله تحليل ولاتقطيع، والغرض: ما يلطف ويقطع، ولما فكرت فيه وجدت الكندس يتصحف طباشير، وصح لي ذلك بالتجربة في سنة ستين وأربعمائة في امرأة كبيرة السن وفي رجل برئا بعد تنقية الجسد بسعوط الكندس من ضعف البصر الذي بلغ بهما ألاّ يبصرا ما بَعُدَ، ولا يتحققا ما قَرُبَ، ومن العشى بإذن الله تعالى[١] وبهذا ينهي المؤلف كتابه. وأنت ترى أن هذه الحادثة كانت سنة ٤٦٠هـ كما قال «مايرهوف»، ولكننا لا نعلم أنها إن كانت في مصر أم في غيرها من بلاد الله، فتحديد كونها في مصر قول لا برهان عليه، وترجيح بلا مرجح. ولكني لا أنفي سكناه في مصر ـ بل أثبتها من نصين آخرين وردا في كتابه هذا، أولهما: ورد في ص ٥٠ من المخطوط، ويذكر فيه تجربته للكحل في مصر. والثاني: ورد ص ٧٣ ويذكر فيه أخذه لدواء من شيخ من شيوخ الإخشادية.

---

(١) مقدمة كتاب العشر مقالات في العين ص ١١.

ومن هذا النص الذي ذكرناه نعلم أن علي بن إبـراهيم بن بختيشوع كان حياً عام ٤٦٠ هـ، وأن وفاته كانت بعد هذا التاريخ.

ب ـ والده: إبراهيم بن بختيشوع:

كان والد مؤلفنا هو «إبراهيم بن بختيشوع» وكان طبيباً للعيون أيضاً، ويظهر أنه كـانت له كتـابـات في طب العيـون لم تصلنا، فقـد ذكـر المؤلف في ص ٧٩ من مخطوطـة كتابنـا هذا كحـلاً أخذه من كتب والـده فقال: «كحل وجـدته بخط والدي في كتبه يبرىء من الرمد الشـديد، والقروح الوضرة، ويسكّن الألم وينقي الغذاء، وهـو منجح: انزروت أبيض جـلال ثلاثـون درهماً، سكر طبرزد عشرة دراهم، قـاطـر، ورد أحمر، من كـل واحـد خمسـة دراهم، أفيـون وزن درهمين، تسحق مفـردة وتنخل من خـرقة صفيقـة ويخلط ويـذر منها بين الأجفـان وعلى القروح بعد أن ينقى البدن، فإنه فائقٌ حسنُ الفعل، وقد جربته فحمدت تأثيره بتوفيق الله[1]».

وقول مؤلفنا «كحل وجدته بخط والـدي في كتبه» يحتمل أنه أراد بذلك كتبه التي ألّفها، ويحتمل أنه أراد بذلك الكتب التي كان يقتنيها من تأليف غيره، وفي كلتا الحالتين فإن هذا يدل على أن والد عَلِيّ كان من المهتمين بطب العيون.

ولكن الذي يدل على أنه أكثر من مهتـم بطب العيون، وأنه طبيب عيون أن ابنه علياً ينقل رأيه في بعض الأدوية التي تبرىء من الماء قبل تمامه، ولا ينقضه.

فهو يقـول «وقال والـدي: يبرىء منه ـ أي: من الماء ـ قبل تمامـه: مرارة الـرقة البحرية، ـ وهي الدلفين ـ أو مـرارة الحبارى مع عصارة الفرسيون وعسل فائق، وكذا مرارة الضبع، أو يكتحل بالمر والفلفل، يعمل أشيافاً[2]».

وأغلب الظن أن مؤلفنا علياً قد أخذ طب العيون عن أبيه، فتعلم على يديه.

---

(١) تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالهاص ٩٢ مخطوط.

(٢) تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها ص ٩١ ـ ٩٢ مخطوط.

جـ ـ أسرته : بختيشوع :

أسرة «بختيشوع» أسرة علم وطب، اشتهرت هذه الأسرة بعلم الطب فتوارثه فيها الأبناء عن الآباء، وكلهم قد نبغوا فيه، حتى كانوا الأطباء الخاصين للخلفاء، إلا ما ندر منهم.

وأصل هذه الأسرة يعود إلى الطبيب النسطوري «جرجس بن بختيشوع» المتوفى سنة ١٥٥هـ الذي كان يعمل طبيباً في «جنديسابور»، فذاع صيته هناك، فاستدعاه الخليفة العباسي «المنصور» ليكون طبيبه الخاص[١].

ثم خلفه في علمه في الطب ابنه «بختيشوع بن جرجس ـ ١٨٤هـ» الذي كان طبيباً للخليفة «هارون الرشيد»[٢].

ثم خلفه أولاده «جبرائيل بن بختيشوع بن جرجس ـ ٢١٣هـ» وكان طبيباً للرشيد ومقدّماً عنده، حتى كان جليسه وخليله[٣].

و«يوحنا بن بختيشوع ـ ٢٩٠هـ» الذي كانت له الكثير من الترجمات، وكان طبيباً للخليفة الموفق العباسي[٤] (طلحة بن جعفر).

ثم خلف هؤلاء أبناؤهم : «بختيشوع بن جبرائيل بن بختيشوع بن جرجس ـ ٢٥٦هـ» الذي كان طبيباً للخليفة العباسي «المتوكل»، وصنف له كتاباً في الحجامة[٥].

و«بختيشوع بن يوحنا بن بختيشوع ـ ٣٢٩هـ» الذي كان طبيباً «للمقتدر بالله» ثم «للراضي بالله»[٦].

و«جبرائيل بن عبيد الله بن بختيشوع ـ ٣٩٦هـ»، وكان طبيباً وفيلسوفاً، رحل إلى «شيراز» واتصل «بعضد الدولة» ثم «بالصاحب بن عباد»، واستدعاه عزيز مصر ليكون في خدمته، ولكنه اعتذر إليه، وعاد إلى بغداد وتوفي فيها[٧].

(١) التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ١/ ٣٤٧ للدكتور أحمد شلبي.
(٢) الأعلام ٢/ ١٢ وطبقات الأطباء ١/ ١٢٦.
(٣) الأعلام ٢/ ١٠٠ وطبقات الأطباء ١/ ١٢٧.
(٤) الأعلام ٨/ ٢٠٩ وطبقات الأطباء ١/ ٢٠٢.
(٥) الأعلام ٢/ ١٢ وتاريخ الطبري ١١/ ٥٦ وطبقات الأطباء ١/ ١٣٨.
(٦) طبقات الأطباء ١/ ٢٠١ والنجوم الزاهرة ٢/ ٢٥٧.
(٧) الأعلام ٢/ ١٠١ وطبقات الأطباء ١/ ١٤٤.

أما مؤلفنا «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» المتوفى بعد ٤٦٠هـ فهو من هذا الرعيل من الأسرة، وإن كنا لم نجد له ولا لأبيه ذكراً، ولا نستغرب ذلك، لأن الناس كانوا لا يؤرخون إلا لمن لمع نجمهم فأعمى الأبصار عما عداهم، ومؤلفنا «علي» لم يبلغ به النبوغ هذا المبلغ، وإلاّ لَمَنْ دخلوا في خدمة السلطان وكانوا من اتباعه، فلصق اسمهم باسمه[1]، و«علي» لم يحالفه الحظ في خدمة السلطان، ولذلك عاش حياته على الهامش في تلك البلدة القاحلة «كفرطاب».

ولعل سفره إلى مصر ـ وإلى اليمن إن صح أنه سافر إلى اليمن أيضاً ـ كان بحثاً عن ذي سلطان يضمه إليه، وعدَّتُه في ذلك ما يحمله من علم متواضع في الطب، وشهرة أسرته في هذا الميدان، يتوكأ عليهما وهو يعرج من بلد إلى بلد.

وأسرة بختيشوع كانت سريانية، تدين بالدِّيانة النسطورية ولكن اسم مؤلفنا هو «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» هو اسم إسلامي صرف، وهذا يدل على تحول بعض فروع هذه الأسرة عن النسطورية إلى الإسلام، ولعل هذا هو الذي جعل والد مؤلفنا يعتزل أسرته ذات الجاه العريض ويعيش في تلك البلدة المتواضعة «كفرطاب» وهذا ما جعل هذه الأسرة تمسك عن التمهيد له ولولده «علي» للانضمام إلى أحد ذوي السلطان، والعيش في بحبوحةٍ وأمانٍ كما عاش بقية أفراد الأسرة.

د ـ بلده: **كفر طاب**:

إن مؤلفنا «علي بن إبراهيم بن بختيشوع الكفرطابي»: ينسب إلى «كفرطاب»، وكفرطاب كما يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان: بلدة بين مدينة «المعرة» ومدينة «حلب»، في برية مُعطِشَة، ليس لهم شراب إلا ما يجمعونه من مياه الأمطار في الصهاريج[2] وقد قال فيها بعض الشعراء شعراً، ومما قيل فيها قول: أبي عبد الله محمد بن سنان الخفاجي:

---

(١) انظر شرط صاحب الأعلام فيمن يذكرهم في كتابه.

(٢) الصهريج: بئر في الأرض تجمع فيه مياه الأمطار، ثم يستقى منه.

بـالله يـاحـــــادي المطـايـــا ... بـيـــن ضـــاك وأرضـــايـــا
عـــرّج علـى أرض كفـر طـاب ... وحيّــهـا أحسَـــنَ التـحـايـا
واهـــدِ لهــا المــاءَ فهــي مِمَّـــن ... يفـــرحُ بالمــاء فــي الهـدايـا

وقال فيها عبد الرحمن بن محسن بن عبد الباقي بن أبي حصني المعري :

أقسمت بالرب وبالبيت الحرام ومَـن ... أهـلَّ معتمـراً مــن حــولـه وسعــى
إن الأولـي بنـواحـي الغوطتـين وإن ... شَـطَّ المزارُ بهـم يــومـاً وإن شسـعـا
أشهى إلى نظاري من كل مـا نظـرتْ ... عيني وفي مسمعي من كـل مــاسمعا
ولاكفرطاب عندي بالحمـى عِوَضـاً ... نعـم سقـى اللهُ سكـان الحــمى ورعا

ورغم أن كفرطـاب كانت بلدة صغيرة في ذلك العصر، إلا أنها كانت بلـدة معطاءً، أخرجت لنا من الأدباء والشعراء والمحدثين والأطباء من سجل التاريخ اسمهم، وحفظ لهم ذكرهم، فأخرجت من المحدّثين «أحمد بن علي بن الحسن ابن أبي الفضل الكفرطابي المعري المتوفى سنة ٤٥١هـ»(١).

ومن اللغويين «أبو الخير سلامة بن عَيّاض بن أحمد» المتوفى بحلب سنة ٥٣٤هـ وله كتاب التـذكرة في النحـو في عشر مجلدات، وكتـاب : ما تلحن فيـه العامـة، وكتاب : فضل العربية(٢).

ومن الأدباء «أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمـر المتوفى سنة ٥٥٣هـ» له كتاب : غريب القرآن، ونقد الشعر، وبحر النحـو، وقد نقض في هذا الكتاب مسائل كثيرة من مــائل النحويين(٣)

ومن الأطبـاء «علي بن إبراهيم بن بختيشـوع»، وهـو صاحب كتـاب«تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» وهو كتابنا هذا :

---

(١) انظر: معجم البلدان في كفرطاب.
(٢) ر: الأعلام ٣/ ١٦٣ وأنباه الرواة ٢/ ٦٧ وبغية الوعاة ٢٥٩ ومعجم الأدباء ٤/ ٢٤٥ .
(٣) الأعلام ٨/ ٢٢ وبغية الوعاة ١٢٤ ومعجم الأدباء ١٩/ ٢٢٢ .

openkandi.com

٣ - دراسة كتاب : تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها

أ ـ وجود الكتاب :

إن مؤلفنا «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» لم يترك لنا ـ فيما نعلم ـ غير كتابه هذا «تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» وبهذا الاسم ذكره «الزركلي» في «الأعلام» عند كلامه عن «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» وذكر عبارة آخره، وهذا يعني أن «الزركلي» قد اطلع على الكتاب، ونسخ نهايته. بل إن المعلومات التي ذكرها «الزركلي» عن المؤلف مأخوذة كلها من الكتاب نفسه، وهذا يعني أنه قرأه أيضاً ـ وذكر «ماكس مايرهوف» هذا الكتاب في مقدمته لكتاب العشر مقالات في العين «لحنين بن إسحق» باسم «تركيب العين وأشكالها ومداواة عللها» وقال: هذا الكتاب مجهول ولم يذكره أحد سواي.

ويوجد من هذا الكتاب اليوم ـ فيما نعلم ـ نسختان خطيتان، الأولى في لينجراد، والثانية في القاهرة في دار الكتب المصرية، وهي منسوخة عن نسخة لينجراد يقول ناسخها: قد وقع الفراغ من نسخ هذا الكتاب في صباح يوم الأربعاء ١٣ رمضان ١٣٤٨هـ الموافق ١٢ فبراير ١٩٣٠م نقلاً عن نسخة استحضرها جناب الدكتور «ماكس مايرهوف» الطبيب الاخصائي في العيون من مدينة «لينجراد» عاصمة الروسيا بالتصوير الشمسي، ونسخ ذلك الراجي عفو مولاه «محمود صدقي» النساخ بدار الكتب المصرية.

أما نسخة «لينجراد» فهي نسخة قديمة جداً، وقريبة جداً من عهد المؤلف، وناسخها هو طبيب اسمه «عبد الرحمن بن إبراهيم بن بسام بن عمار الأنصاري المقدسي»، يقول ناسخها رحمه الله: ووافق الفراغ من نسخها سنة واحد وخمسين وخمسمائة للهجرة النبوية.

وإذا علمنا أن المؤلف كان حياً عام ٤٦٠هـ ـ كما قدمنا ـ فإن هذه النسخة قد نسخت بعد مرور أقل من مائة عام على وفاته.

ب ـ السبب الباعث على تأليف الكتاب :

لابد لكل باحث من سبب يجعله يفكر ببحث أمر معين أو الكتابة فيه، وقد يكون هذا السبب إضافة معلومات جديدة، أو تعديل معلومات قديمة، أو

عرض موضوع عرضاً جديداً يختلف عن عرض السابقين له، أو يكون شيء آخر.

وإذا كان مؤلفنا «علي بن إبراهيم» يرى أن علم الطب قد اكتمل على يد «جالينوس» حتى كانت غاية من أتى بعده من الأطباء فهم كلامه وسلوك طرق قوانينه، فإننا لا نطمح أن يكون سبب تأليفه كتابه هذا هو إضافة الجديد، ولا تعديل القديم، ونستغرب أن يكون الباعث على تأليف هذا الكتاب هو صياغة المعلومات بعبارات مسجوعةٍ في عصر ساد فيه السجع، واعتبر من أرق الأساليب الكتابية ولو كان متكلفاً، يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

«قال علي بن إبراهيم: رأيتُ كل مؤلف كتاب، ومصنف آداب، له سبب حثه عليه، وغرض يقصد به إليه، وللعلوم أوائل وأصول، وللحكم حقائق ومحصول، سيما علم الطب وصناعته، لشرف موضوعه وجلالته، إذ كان علماً قياسياً، وأصلاً عقلياً، وتجارب وحيلاً، وفصولاً وجُملاً، وقد أجمع كافة الناس، على اختلاف الأجناس، أن «جالينوس» تمم هذه الصناعة وأكملها، وأبان غامضها ومشكلها، وقرر لها أصولاً، وجعل لها فصولاً، تُقْرأ على ترتيب ونظام، وقربها إلى الأفهام، فجميع المصنفين من بعده مُقْصِرون، وفي أثره مجتهدون، وأفضلهم من بَيَّنَ في تصنيفه فهم كلامه، وسلك طُرُق قوانينه وأقسامه.

فلما رأيت ذلك عدلتُ إلى تسجيع ألفاظه وتطبيقها، ونقلها على معانيها وتحقيقها، وما قد صح عند أتباعه، وتقرر في كتب أشياعه، ورأيت في ذلك معنى لطيفاً، وفناً شريفاً، وهو تسهيل حفظه على الطالبين، وتقريب فهمه من قلوب المتعلمين، وأتميز به عن تصنيفهم، وأبين به من تأليفهم».

ومهما قلنا في مشروعية هذا الباعث، فإنه كان في نظر المؤلف مشروعاً، ويمكننا أن نلتمس للمؤلف في ذلك بعض العذر، لأنه رأى معاصريه ينظمون العلومَ أراجيز تسهيلاً لحفظها، فقد نظم اليشكري ـ ٣٧٠هـ أرجوزته في النحو والصرف[1]، ونظم ابن مالك ـ ٦٧٢ هـ ألفيَّته المشهورة، ونظم علي بن محمد

---

(١) إشارة التبين في تراجم النحاة واللغويين ص ٥٠.

السخاوي ـ ٦٤٣هـ منظومته في المواريث[١]، وكثير ممن هم قبل هؤلاء وبعد هؤلاء نظموا العلوم في قصائد تسهيلاً لحفظها، والإنسان ابن عصره، ولما رأى مؤلفنا أن ثروته اللغوية، وخبرته في نظم الشعر لا تساعدانه على ذلك، فإنه عدل عن نظم كتابه هذا شعراً واكتفى بالسجع.

والسؤال الآن: هل التزم مؤلفنا بما ادعاه أنه كان باعثاً له على تأليف كتابه؟ إن الذي يقرأ الكتاب بإمعان يرى أن المؤلف قد أخذ نفسه بالسجع في أول الكتاب، ثم أخذ يتحلل منه شيئاً فشيئاً، حتى أصبحنا لا نرى له أثراً في النصف الثاني من الكتاب، حيث أخذ المؤلف يقرر المسائل الطبية ويصف الأدوية وتركيبها كما يفعل أي طبيب في مؤلفه، دون التزام للسجع.
وفي القسم الذي التزم فيه المؤلف بالسجع كنا نرى المؤلف يضطر إلى التقديم والتأخير، أو يضطر إلى استخدام كلمات قد يكون غيرها أبلغ في الدلالة على المراد منها، وهذا يوقع في شيء من الغموض، كل ذلك من أجل المحافظة على السجع، والعلم بما يحمله من المعاني الدقيقة يجب أن يصاغ بالأسلوب المفصِح المُبين الذي لا لبس فيه.

جـ ـ لغة الكتاب:

كتب المؤلف كتابه «تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» بلغة عربية فصحى، لم يداخلها شيء من عامية أهل الشام ولا غيرهم، ولكنه استخدم مصطلحات علمية يونانية في قروح القرنية، مع أن المترجمين العرب قد أوجدوا لها المقابل العربي، والعجيب أن هذه المصطلحات اليونانية في هذه القروح ظلت ترددها مع المقابل العربي كتب طب العيون التراثية حتى القرن السابع الهجري، مع أن هذه الكتب لا تتفق في ألفاظها فيها، فكل مؤلف يوردها على شكل يخالف به غيره.
ونحن لا شك في أن مؤلفنا الطبيب كان عنده تذوق جمالي للجملة العربية،

---

(١) بغية الوعاة ٢/ ١٩٢ وما بعدها، وهدية العارفين ٧٠٨ ـ ٧٠٩.

وعنده القدرة على صياغة المعاني والمضامين العلمية بجمل جميلة أخاذة، فاسمعه يقول في ص ٣ من المخطوط «وخلق له عينين وأذنين ومنخرين، ولساناً وشفتين، ومرياً وحجابين، وقلباً ورئتين، ومعدة ومعاءين، وكبداً وكلتين، وطحالاً وانثيين، وجعل فيه مخاً وعظماً، وعصباً ولحماً، وعضلاً وشحماً، وعِرْقاً ودماً، وجلداً وشعراً، حكمة منه وبراً، وجعل بعضها لبعض ماسكاً، ومملوكاً ومالكاً. . . إلخ».

أرأيت إلى هذه الموسيقى الخفيفة العذبة المنبعثة من هذا التركيب الفذ للجملة، مفتاح يمهد للنغمة «وخلق له عينين وأذنين ومنخرين» ثم تناوب بديع في جمل قصيرة، تشتمل كل جملة منها مفرداً ومثنى بالياء والنون، ثم تغييرٌ لهذه النغمة حتى لا يملّ السامع منها، إلى نغمة جديدة منبعثة من جملة قصيرة متناوبة، قوامها مفردان مَنْصوبان، بعد التمهيد لها بمفتاح صوتي «وجعل فيه مخاً وعظماً. . .»

ولم ينس المؤلف أن يجاور في اللفظ بين المتجاورين في الوضع «لساناً وشفتين» و«قلباً ورئتين» و«معدة ومعاءين» و«عِرْقاً ودماً» و«جلداً وشعراً».

ثم تأمل جمال التعبير في قوله «وجعل بعضها لبعض ماسكاً، ومملوكاً ومالكاً» إن هذا يجعل القارىء يذهل عن نفسه حتى يظن أنه يسبح في بحور الأدب، ولكنه لا يلبث أن يرتد إلى نفسه فيجد نفسه بين طيات كتاب طب.

ومما يؤسف له أولاً: أن المؤلف بدأ كتابه بهذا الأسلوب الأدبي الرائع، ولكنه لم يلبث أن تركه في أواخره، وهذا يدل على أن جمال العبارة ليس طبعاً في المؤلف، لأنه لو كان له طبعاً لما فارقه أبداً، ولكنه كان يتكلفه.

ومما يؤسف له ثانياً: أن هذا الجمال كان يكدره على الدوام أخطاء نحوية كثيرة تكاد لا تخلو منها صفحة من الكتاب، من ذلك:

قوله ص ٢ «إذ كان علماً قياسياً وأصلاً وعقلاً وتجاربا وحيلاً» والصواب: «وتجاربَ»

ومثلها ص ٨ «ورتبوا لها قوانيناً برهانية» والصواب: قوانين

وقوله ص ٣ «قسم على أربعة أجزاء واثنا عشر وصلاً» والصواب: واثني عشر

وقــولــه ص ٤ «وفي اللحي الأسفل عظمان مــركبي فيهما ستــة عشر عظماً من الأسنان» والصواب مركب فيهما.

وقوله ص ٥ «والمعيُّ خلقت. . . والأنثيين. . . » والصواب: والأنثيان.

قوله ص ٦ «عظم الكتفان» والصواب: الكتفين.

وقـوله ص ٧ «ينبت من الـدمـاغ واحد وثـلاثين زوجـاً. . . » والصواب واحـد وثلاثون.

وهكذا تمضي الأخطاء النحوية في كل صفحة من صفحات الكتاب.

د ــ عنـوان الكتـاب:

قلنا إن الكتاب يحمل عنوان «تشريح العين وأشكالها ومداواة أعلالها» أو «تركيب العين وأشكالها ومـداواة أعلالها» وهما في المعنى متحـدان. ويعود المؤلف ليـؤكد نفس العنـوان في ص ٨ فيقول «. . . بـدأنا بـأشرف أعضائه الظـاهرة للعيـان، وأنفس حـواسه في الكيـان، وهو البصر الجليل، لنـذكر عللـه ومداواتـه، بتمام معرفة طبيعته ومزاجاته، وشكله وهيئته، ووضعه وبُنْيَتِه. . . . »

ولكن المطـالع للكتاب يـرى أن المؤلف لم يتكلم على تشريح العين مع ما لـه من الأهمية إلا في أقل مـن صفحة واحدة، ولم يتكلم قـط كلاماً مستقـلاً عن شكل العين، ورصـد كل كتـابه لمداواة أمـراض العين. وعلى هـذا فإن المؤلف لم يحقق العنوان في المضمون وهذا سوء في التأليف لا يغتفر.

هـ ــ تقويم الكتاب من الناحية التصنيفية:

إن التصنيف في طب العيون يتبع إحـدى طريقتين سـار عليهما الرعيل الأول من المصنفين العرب.

الطريقـة الأولى: طريقـة حنين بن إسحـاق في كتابـه العشر مقالات في العين، والرازي في كتابه الحاوي: وهي أن يتكلم المصنف عن تشريح العين، ثم يتكلم عن أسباب الأمراض الحادثة في العين، ثم يتكلـم عن أعراض الأمراض الحادثة في العين، ثم يتكلم عن الأدوية المستعملة في مداواة أمراض العين.

والطريقة الثـانية: هي طريقة ثـابت بن قرة في البصر والبصيرة، وعلي بن عيسى في تـذكـرة الكحـالين وغيرهم، وهي: أن يتكلـم المؤلف عن تشريح العين، ثم

يقسّم الأمراض بحسب أماكنها، أمـراض الأجفان، أمراض الملتحمة، أمراض القرنية. . . إلخ، ثم يتناول المصنف هذه الأمـراض مرضاً مرضاً ويبحث في كل مرض منها أسبابه، وأعراضه، وعلاجه.

- وقـد اختار مـؤلف كتـاب «تشريح العين وأشكالها ومـداواة أعـلالها» الطريقـة الثانية، وهي الطريقة التي استقر عليها التأليف في طب العيون.
- وإن المستقـرىء للكتاب يـرى أن المؤلف بدأ كتـابه بـالكلام على تـركيب جسم الإنسان بعـامة، فتكلم عن العضـلات والأعصاب والعـروق، والرأس والجذع والأطراف، وقد حـاول في هذا القسم أن يعطي احصائيات محددة، فـذكر عدد العظام في جسم الإنسان، وعدد المفاصل، وعدد العضلات، وعدد الأعصاب الخارجة من الـدماغ وغير ذلك، إلا أن من عيـوب هذه الطريقـة أنه سرعـان ما يظهر خلافها بكشـوف جديدة، واعتقد أن المؤلف لو لم يحصرهـا بالأعداد لكان أحسن.

ثم تكلم عن تشريـح العين، ثم تكلم عن أمـراضهـا جملـة: ثم أخـذ يفصل ويشرح هذه الأمـراض، فتحدث عن أمراض الأجفان، ثم عـد أمراض الماق، ثم عد أمراض الملتحمة، ثم عد أمراض القرنية، ثم عد أمراض العنبية، ثم عد أمراض البيضية، ثم أخذ يتحدث عن الأدوية المركبة، الاشيافات، والأكحال، والأكحال الرطبة.

- إلا أن المؤلف في مسيرتـه هـذه التي وصفناهـا فـاتـه أن يقسِّم كتابـه إلى أبـواب وفصـول، أو إلى مقالات، مع أن هـذا التقسيم كان معـروفاً في طب العيـون في عصر المؤلف، بل إنـه تعمد صيـاغة كتـابه بشكل يكـون فيه الكتـاب وحدة لا ينفك جـزءٌ منها عن الآخـر، ويصعب الفصل بينهما عنـد انتقالـه من موضـوع لآخر، فـاسمعه يقول وهو ينتقل من مـوضوع تركيب جسم الإنسان إلى مـوضوع العين «ولما كـانت هـذه الأعضاء الـرئيسيـة، والأصول النفسيـة، مـادامت على الترتيب والنظام، تكـون من ذلك صحة الأجسام، فإذا زال أحـدهما عن بنيته، أو تغير عن هيئتـه، أو استحال عن طبيعتـه، أحدث مـرضاً، وبـدّل عَرَضـاً، جعلت الحكماءُ المتقدمون والفلاسفة المتقدمون لحفظ هذه الأعضاء على نظامها، وشفائها من أسقامها، علماً صناعياً، وقياسـاً عقلياً، يدعى «بالصناعة الطبية»

ورتبوا لها قوانين برهانية، ولما كانت جليلة القدر، عظيمة الخطر، لأن موضوعها هو الإنسان، الذي هو أشرف الحيوان، بدأنا بأشرف أعضائه الظاهرة للعيان، وأنفس حواسه في الكيان وهو البصر الجليل. . . إلخ»

- ومما يؤخذ عليه أيضاً من الناحية التصنيفية: إطالته الكلام على تركيب جسم الإنسان، حيث استغرق ذلك منه ست صفحات، وذكر في ذلك أشياء لا علاقة لها بالعين من قريب ولا بعيد، كعدد عظام الجمجمة، وعدد عظام الجسم، وعدد المفاصل فيه، وعدد العضلات. ونحو ذلك.
- ولم يقتصر ذكره أشياء لا علاقة لها بالعين تشريحياً فقط، بل إنه ذكر فيما بعد من الأدوية أشياء لا علاقة لها بالعين، كذكره دواءً للأسنان ص ٧٥ من المخطوط، وذكره دواء آخر لها ص ٧٨، وذكره دواءً لقطع البواسير ص ٨٦، وذكره دواءً يقوي اللثَّة ويُنْبِتُ اللحم ويُطيب النكهة ويقوي الأسنان ص ٨٧.
- بينما هو يختصرّ تشريح العين اختصاراً يكاد يكون مخلا، مع أن تشريح العين هو من موضوعات كتابه، كما أشار إلى ذلك عنوانه.
- ويؤخذ عليه أيضاً: أن المؤلف عندما تكلم عن الأدوية المركبة تكلم عن الأشيافات أولاً، ثم اتبعه بالكلام على الأكحال، ثم اتبعه بالكلام عن الأكحال الرطبة، وهنا أخذ يورد مجموعة من الأشيافات والأكحال الجافة والذرورات والسعوطات وغيرها، ولو أنه ألحق كل صنف بصنفه لكان أحسن في التصنيف وأقوم.
- ويؤخذ عليه أيضاً: أنّ بعد أن أنهى الكلام في ص ١٢ من المخطوط عن أمراض الجليدية، شرع في الكلام على أمراض البيضية، ثم بالكلام عن أمراض الزجاجية، ثم عاد ليتكلم على الجليدية من جديد ويقول «فإن زالت الجليدية يمنة أو يسرة كان من ذلك الحول العارض للصبيان. . . إلخ» وهذا خطأ تصنيفي جسيم لا ينبغي لأمثال المؤلف أن يقع فيه.
- ويؤخذ عليه أن كتابه لم يحط بالموضوع، فقد عد في المقدمة أمراضَ البيضية ولم يعالجها وعد أمراض الجليدية ولم يعالجها، وعد أمراض الزجاجية ولم يعالجها، وعد أمراض الروح الباصر ولم يعالجها. وأهمل بالكلية ذكر أمراض العصب البصري، وأمراض الشبكة، وأمراض المشيمية، وأمراض العضلات المحركة

للعين . وهو خطأ تصنيفي كبير.

و ــ تقويم المضمون العلمي للكتاب :

ــ إن الطريقة الإحصائيـة «العَدّ» التي اتَّبعها المؤلف في الكلام على تركيب جسم الإنسـان جعلته يقع في أخطـاء عدديـة، وربما لم تكن هـذه الأخطاء أخطـاء في عصره، ولكن التطـور العظيم الـذي تطوره علـم التشريح أظهر اليـوم أخطـاءً واضحة فيما ذكره المؤلف .

ـ وأظهر الطب الحديث أخطاء وقع فيها المؤلف، وربما لم تكن أخطاء في عصره، من ذلك قوله ص ٣ «وجعل في الإنسان ثمانية وثلاثين زوجاً من العصب . وفرداً لا أخ له ولا نسب» فكان الخطأ في ناحيتين : الأولى في العـدد الذي نوَّهنا عنه في الفقرة السابقة، والثانية : أن الأعصاب كلها تكون أزواجاً ـ والله أعلم ـ

وذكر في ص ٩ أن القـرنية أربعة قشـور ـ وهذا ما كـان عليه أهل زمانـه ـ ولكن العلماء اليوم يقولون إنها مؤلفة من خمسة قشور.

وذكـر في ص ٩ أيضاً أن الـرطـوبة الجليـدية يكـون نصفهـا مغرقـاً في الـرطوبـة الزجاجية، والصحيح أن السطح الأمامي لها يلامس القزحية، والسطح الخلفي يكون متوضعاً أمام الزجاجية .

وذكـر ص ٣٧ أن الـرطـوبـة الجليديـة تقع بين الـرطـوبتين البيضيـة والعنبيـة، والصواب أنها تقع خلف العنبية، وتكون البيضية بينها وبين العنبية .

وفي ص ١١ يعتبر الماء من أمراض البيضية، وهو يخالف بذلك معاصريه الذين يعتبرونه من أمراض العنبيـة .

ــ وقد اختلف معاصروه فمن بعدهـم في عدد بطون الدماغ، فذهب «حنين بن إسحـاق» في «العشر مقـالات في العين» ص ٨٦ و«خليفـة بن أبي المحـاسن الحلبي» في «الكـافي» ـ بتحقيقنـا ـ إلى أن عـدد بطون الـدماغ أربعـة، ووافقهما مؤلفنا، «علي بن إبراهيم بن بختيشوع»، وخالفهم الشيخ الرئيس «ابن سينا» في «القانون ١/ ٤» وذهب إلى أن بطون الدماغ ثلاثة .

ـ وقـد طرح المؤلف في كتابه هـذا بعض الأدوية التي قام هو بتركيبهـا، وتجربتها على مرضاه فنجحت، ومن ذلك :

كحل للماء النازل في العين ذكره ص ٣٨ من المخطوط فقال: واذكر ما قد جربت فيه من الأكحال، فأبريته به على الكمال، وذلك أني اتخذتُ كحلاً من الحلتيت والعسل، وماء الرازيانج وشحم الحنظل، وما اتفق من مراير الطير الصايدة، والوحش العادية المتباعدة، وداويت به رجلاً قد املأت عيناه، في مدة معينة فكان به شفاه. . . إلخ.

ومنها: شياف ذكره ص ٧٩ كان قد ألفه لرجل شريف قد بقي في عينه أثر قرحة، وغِلَظٌ في الأجفان، وبدو سبل، ورطوبة تنجلب إلى العين، فبرىء منه في مدة أربعين يوماً.

ومنها: كحل ذكره ص ٨٦ يبرىء من البياض والجرب.

ومنها: كحل ذكره ص ٨٠ يقوي البصر ويحفظ صحة العين، ويمنع انصباب المواد الرديئة إليها.

ومنها: حب ذكره ص ٨١ ينقي الرأس ويقوّي البصر.

ومنها: معجون الإسنان ذكره ص ٧٥ قال فيه: عملته وجربته عند سقوط أسناني لما سقطت واهترأت لثتي وتقطع كثير من لحمها، فأنبت لحمها، ومسك باقي الأسنان والأضراس وقوّاها، ثم ذكر تركيبه.

وذكر غير ذلك.

ـ وأكثر الأدوية التي ذكرها في كتابه هذا ـ إن لم نقل كلها ـ قد جرّبها بنفسه، وتبين له نجاحها، وهذا أمر ليس بالهين.

ـ إن العلاجات التي ذكرها المؤلف لأمراض العين لم تكن قاصرة على العقاقير الطبية، بل كانت تتناول أيضاً العمليات الجراحية، التي كان يصفها لنا المؤلف في بعض الأحيان وصفاً دقيقاً، وأكثر هذه العمليا ت قد مارسها المؤلف بنفسه وتبين له نجاحها.

ـ ويمتاز الكتاب بالاختصار الشديد، فهو في أكثر الأحيان لا يذكر أسباب الأمراض، وفي كثيرٍ من الأحيان لا يذكر أعراضها، وفي بعض الأحيان لا يذكر للمرض الواحد إلا دواء أو دواءين، ولعل المؤلف يفعل ذلك اعتماداً على أنه سيذكر في آخر الكتاب مجموعة كبيرة من الأدوية المركبة التي يفيد الواحد منها في العديد من أمراض العين.

ـ هناك أدوية مركبة تقليدية متعارفة بين أطباء العيون آنذاك، منها مثلاً شياف الأبار، وذرور الملكايا، وروشنايا العزيز وغيرها، وهذه الأدوية كان المؤلف يحكيها لنا بعد إدخال بعض التعديل فيها بإضافة مادة دوائية أو أكثر عليها، أو بانقاص مادة أو أكثر منها، وهذا دليل على تمكن المؤلف من مهنته، ومعرفته الدقيقة بخصائص العقاقير الطبية مفردة ومجموعة مع غيرها.

ـ لقد وقع المؤلف في خطأ فاحش عندما نسب في ص ٨٧ من المخطوط إلى النبي ﷺ كحلاً كان قد نسخه المؤلف من أحمد بن يوسف الصوفي الحاج، أخبره أنه أخذه من رجل عابد بمكة، ولدى التحقيق وجدنا أن الكحل لا أثر لنسبته إلى الرسول ﷺ من طريق صحيح ولا سقيم، وكان على المؤلف أن يعلم أن أكثر إخبارات الصوفية لا أصل لها.

ـ والأمر الرائع حقاً في هذا الكتاب ص ٤٠ أن المؤلف كان لا يبيح لغير الماهر في صناعة الطب بعامة وفي الأعمال الجراحية بخاصة أن يقدم على إجراء العمليات الجراحية في عيون الناس، ويفرض على المتدرب أن يتدرب على جراحة العين بعيون الحيوان ـ كالشياه ونحوها ـ حتى إذا ما آنس من نفسه المهارة وعلم فيها الجدارة جاز له أن يجري العمل الجراحي في عين الإنسان.

وبعـــــد:

فإن «علي بن إبراهيم بن بختيشوع» وإن كان قد صرح في كتابه هذا «تشريح العين وأشكالها مداواة أعلالها» أن الطب قد اكتمل على يد «جالينوس»، وأنه لن يأتي في كتابه هذا بشيء من الإضافات غير تنميق العبارة، وجمال الصياغة.

إلا أننا نرى أن مؤلفنا قد أضاف إلى طب العيون في كتابه هذا ممارسات جديدة بأدوية جديدة وإن لم يكن قد أضاف إليه جديد من الناحية الأكاديمية.

والله ولي التوفيق

د/ محمد رواس قلعه جي
جامعة الملك سعود
بالرياض

عملنا في التحقيق

لقد نهجنا في تحقيقنا لهذا الكتاب نهجاً مختلفاً عن نهجنا في تحقيق بقية فقرات هذه السلسلة (سلسلة التراث الطبي الإسلامي ـ علم الكحالة) إذ أضفنا في هذا الكتاب ما يمكننا أن نسميه (الطب المقارن) فقد أخذ الدكتور محمود صقر على عاتقه مقارنة المعلومات القديمة المثبتة في كتابنا هذا «تشريح العين» بأحدث ما وصل إليه الطب المعاصر من معلومات، كما قام الدكتور صقر بالمشاركة في تحقيق بعض نصوص الكتاب ومتابعتها في المراجع التراثية الأخرى، وقام بوضع فهارس الأدوية المفردة مع تعريف مختصر لها، وفهرساً للأدوية المركبة، ووضع ملحقين للمصطلحات الطبية الأول: عربي ـ إنجليزي، والثاني: إنجليزي ـ عربي، وزيّن الكتاب وضاعف فائدته العلمية بإضافة كثير من اللوحات التشريحية، ووضع المسميات للأجزاء الواردة في هذه اللوحات، ليسهل على القارىء متابعة العناصر التشريحية المختلفة الواردة في الكتاب.

أما الدكتور محمد ظافر الوفائي فقد قام ـ بما له من خبرة كبيرة في ميدان التراث الطبي ـ بمراجعة وتهذيب ما وضعه الدكتور محمود صقر، وإضافة المراجع إلى الأدوية المفردة.

وأما الدكتور محمد رواس قلعه جي، فقد قام بمراجعة الكتاب وضبطه لغوياً، واستكمال مراجعة النصوص ومطابقتها في مراجع التراث الطبي، والتحقق من سلامة التحقيق الذي قام به الدكتور محمود صقر، واستدراك ما فات الدكتور وفائي والدكتور صقر وكتب المقدمة، وكان بحق أستاذاً لكل من ينوي السير في درب التحقيق الشاق

وبعد:

فإننا لا ندعي الكمال، فالكمال لله وحده، ولكن حسبنا أننا اجتهدنا، والله ولي التوفيق.

شكـــر وتقـــديـــر

وقبل أن نضع نقطة النهـاية لابد لنا من أن نتـوجه بالشكر إلى سعـادة الأستاذ الشيخ فهد عبـد الرحمن العبيكـان المدير العـام لشركة العبيكـان للطباعـة والنشر الذي تفضل بالموافقـة على نشر هذا الكتاب مع علمـه بعدم تحقيقه أي مغنم مـادي، ولم يكن له من دافع لمثل هـذا العمل إلا نفض الغبار عن أمجاد هـذه الأمة عسى أن يكـون ذلك نبراساً لأجيالنا الحاضرة، ودافعاً للتحرك نحو مستقبل مجيد.

كما نشكر سعـادة الدكتور زيد بن عبـد المحسن آل حسين مدير مـركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على ما قدمه لنا من معونة فنية، سهلت لنا سبيل إخراج هذا الكتاب والله ولي التوفيق. .

المحققـــون

صقـر ــ قلـعه جـي ــ وفـائـي

openkandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال علي بن إبراهيم: رأيتُ كلَّ مؤلِّفِ كتاب، ومصنِّفِ آدابٍ، له سببٌ حثَّه عليه، وغرضٌ يقصد به إليه، وللعلوم أوائل وأصول، وللحِكَم حقائق[1] ومحصول، سيّما علمَ الطب وصناعتَه، لشرف موضوعه وجلالته، إذ كان عِلْمًا قياسيًا وأصلاً عقلياً، وتجارباً[2] وحِيَلاً، وفصولاً وجُملاً، وقد أجمع كافة الناس، على اختلافِ الأجناس، أن «جالينوس»[3] تمم هذه الصناعة وأكملها، وأبان غامضَها ومُشكلها، وقرر لها أصولاً، وجعل لها فصولاً، تُقرأُ على ترتيبٍ ونظام، وقربها إلى الأفهام، فجميع المصنِّفين من بعده[4] مُقْصِرُون، وفي أثَره مجتهدون، وأفضلهم مَن بيّن في تصنيفه فَهْم كلامِه، وسلك طرق قوانينه وأقسامه. فلما رأيتُ ذلك عدلتُ إلى تسجيع ألفاظه وتطبيقها، ونقلها على معانيها وتحقيقها، وما قد صح عند أتباعِه، وتقرَّر في كتب أشياعِهِ، ورأيتُ في ذلك معنى لطيفاً/ وفناً شريفاً، وهو تسهيل حفظه على الطّالبين، وتقريب فهمه من قلوب / ٣
المتعلمين، وأتميَّزُ به عن تصنيفِهم، وأُبيِّن به من تأليفهم، فبدأت من الرأس بأَشرف الحواس، وهي: العينِ وأعلالِها وتشريحِها وأشكالِها. وما تدعو الضرورة إلى معرفته لمن قصد هذا العلمَ على حقيقته.

---

(١) جرى المؤلف في كتابه هذا على لهجة تسهيل الهمزة وردها إلى أصلها، ونحن سنثبت الهمزة دون النص على ذلك، فحقائق كتبها المؤلف هكذا «حقايق».

(٢) الصواب: تجارب، لأنه ممنوع من الصرف لأنه على صيغة منتهى الجموع، لوقوع حرفين متحركين بعد ألف جمعه.

(٣) جالينوس: خاتم الأطباء اليونانيين الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، ولا يساويه أحد في صناعة الطب. وكانت مدة حياة جالينوس سبعاً وثمانين سنة. و ذكر إسحق بن حنين أنَّ من وقت وفاة جالينوس إلى سنة الهجرة ٥٢٥ سنة ـ عيون الأنباء ص ١٠٩، وطبقات الأطباء والحكماء ص ٤١ ـ

(٤) (بَعدِدِ) في الأصل (بعدُ).